الرسالة

(٢ كورنثوس ٦: ١–١٠)

يا إخوةُ بما أنَّا معاونونَ نطلُب إليكم أن لا تقبلوا نعمةَ اللهِ في الباطِل* لأنّه يقول إنّي في وقتٍ مقبولٍ استجبتُ لك وفي يومِ خلاصٍ أعنتُك. فهوذا الآن وقتٌ مقبول. هوذا الآن يومُ خلاص* ولسنا نأتي بمعثَرةٍ في شيءٍ لئلاَّ يلحَقَ الخدمةَ عَيبٌ* بل نُظهِرُ في كلِّ شيءٍ أنفسَنا كخدَّامِ اللهِ في صبرٍ كثيرٍ في شدائدَ في ضروراتٍ في ضيقاتٍ* في جَلَداتٍ في سجونٍ في اضطراباتٍ في أتعابٍ في أسهارٍ في أصوامٍ* في طهارةٍ في معرفةٍ في طولِ أناةٍ في رِفقٍ في الروح القدس في محبَّةٍ بلا رياءٍ* في كلمةِ الحقِّ في قوَّةِ الله بأسلحةِ البِّر عن اليمين وعن اليسار* بمجدٍ وهوانٍ. بسوءِ صيتٍ وحُسنه* كأنَّا مُضلُّون ونحن صادقون. كأنَّا مجهولون ونحن معروفون كأنَّا مائِتونَ وها

طريق الملكوت

«وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية قائلا: توبوا، لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (متى ٣: ١–٢). قامت دعوة المسيحيين كما نقرأ منذ بداية الأناجيل الثلاثة الإزائية على الكرازة بمجيء ملكوت السموات والدعوة إلى التوبة.

بعد معمودية الرب يسوع، وتجربته في الصحراء، وتسليم يوحنا المعمدان، ابتدأ السيد برسالته علنًا، مكمّلًا ما أعلن يوحنا المعمدان بدايته. فشرع الإله المتجسّد يعظ بكلمات ذاك الذي عمّده. دعا يوحنا الشعب للتوبة، وكذلك علّم المسيح باقتراب ملكوت السموات وضرورة التوبة «كان يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل» (مر١:١٤–١٥).

وصية السيد لتلاميذه كانت أن يعظوا بالتوبة. وعنهم أخذت الكنيسة منذ ألفي عام «أن يُكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم» (لو ٢٤:٤٧). التوبة هي مفتاح ملكوت السموات. وهي كرازة المسيح لكل الشعب. هو لم يكتفِ بالوعظ بل أرفقه بصنع العجائب. كل هذه العجائب كانت «علامات» وإثباتات على تحقيق ملكوت الله على الأرض. «إن كنت أنا بإصبع الله أطرد الشياطين، فإن ملكوت الله في داخلكم» (لو١٧:٢١).

ملكوت السموات على الأرض هو حضور الرب يسوع المسيح ونعمةِ روحه القدّوس. يعطي ملكوت السموات الحياةَ للعالم، وهو يدخل بدون مراقبة إلى العالم. «لا يأتي ملكوت الله بمراقبة» (لو١٧:٢٠) أي ليس بطريقة واضحة للجميع، لكن مع الزمن يصير شجرة وارفة تلتجئ في أغصانها طيور السماء (متى ١٣: ٣١ – ٣٢).

العدد ٢٠١٦/٦

الأحد ٧ شباط

تذكار القديس برثانيوس

والبار لوقا

اللحن الثالث

إنجيل السَحَر الثاث

ملكوت الله هو أكبر عطية من الله للإنسان، وكي نفوز به علينا أن نشتهيه ونتعب من أجله. بداية نحتاج إلى التوبة لأن أساس ملكوت الله هو التوبة، ثم إلى التصاق حياتنا بالكنيسة لكي تتفتح بذور النعمة فينا. كل شيء من بعد قيامة السيد هو هبة وعطية ولكن كيف لنا أن نكتسب هذه الهبة؟

«من أيام يوحنا المعمدان إلى الآن ملكوت السموات يُغصب والغاصبون يختطفونه» (متى١١:١٢). لقد شقّ الرب يسوع نفسُه الطريقَ إلى ملكوت

السموات وكان هو أوّلَ مَن سلكها، لذا ينبغي لمَن يشاء أن يصل إلى هذا الملكوت أن يتبع المسيح. «مَن أراد أن يتبعني فليكفر بنفسه ويحمل صليبه ويتبعني»(مر ٨: ٣٤). عبارة «مَن أراد» تعني أنّ المسيح لا يرغم أحدًا على اتّباعه. لا حاجة له إلى من لا يرغبون من كل قلوبهم بالخلاص، لكنّه يدعونا أن نتبعه بملء حرّيتنا. لذا، وحدهم الذين يتوقون إلى خلاص الربّ ويطلبونه من كلّ قلوبهم، ويسعون في سبيل وصاياه، يبلغون ضياء ملكوته.

كلّ إنسان يسعى إلى السعادة. لكنّ مأساة الإنسان في عصرنا أنّه يضيّع السبيل ويسعى من خلال الوسائل الماديّة وشهوة السلطة والغنى إلى أن يجد سلامه. ينسى أنّ السعادة الحقيقية لا تتحقّق بمنأى عن الله. وحده الإله، مصدر كلّ خير ونعمة وسعادة، يروي عطشنا وحاجتنا إلى السلام والفرح والراحة.

يقول القديس باييسيوس الآثوسي (+١٩٩٤): «لقد جعل الناسُ اليوم حياتهم صعبةً، لأنهم لا يرضون بالأمور القليلة، بل يطلبون باستمرار المزيد من الأمور المادّية. أما الذين يبتغون أن يعيشوا حياةً روحيّة أصيلةً فينبغي لهم أوّلاً أن يكتفوا بالقليل من الأمور. حين تصير حياتهم بسيطةً، خاليةً من الهموم الضارّة، لن يتحرّروا من روح العالم فحسب، بل سيكون لهم أيضًا متّسعٌ من الوقت للأمور الروحيّة، وإلا يجهدون أنفسهم في محاولتهم اتباع زي العصر، ويفقدون السلام الداخلي فيقتنون قلقًا كبيرًا».

يجب أن نتذكّر أنّ طريق السعادة والسلام الداخلي هو الطريق إلى ملكوت السموات الذي فتحه لنا السيّد. إنه الطريق الوحيد إلى الخلاص وما من طريق أو ممرّ آخر يؤدّي إلى ملء الحياة.

قد يبدو هذا الطريق في بعض الأحيان ضيّقاً صعبًا، إلّا أنّه الطريق الوحيد إلى الفرح الحقيقي وإلى النور. فإنّه، رغم الضيقات والتجارب التي قد تكتنفه، يجلب لمَن يسلكه تعزيات تفوق كلّ ما في هذا العالم. الربّ يسوع المسيح نفسُه يفتقدنا في هذا الطريق، يُرسل ملائكته وقدّيسيه لمؤازرتنا، ويبعث لنا بنعمة روحه القدوس المعزّي ليُبلسم قلوبنا ويُفعمها فرحًا، وهو نفسُه يُمسكنا بيمينه العزيزة ويقودنا إلى خلاصه.

ملكوت السموات حقيقةٌ تُعاش من الصغار ومن متواضعي القلوب وليس بالضرورة من حكماء العالم، لذلك تُكشف فقط لذوي القلوب النقية. يُعطى ملكوت الله للذين يحبّون المسيح ويشهدون له على الأرض، يقبلون أخاهم الإنسان بدون حدود أو شروط. هؤلاء هم الأبرار الذين يتجاوزون تجارب الحياة بصبر، ويحملون أتعابهم كصليب حياتهم، ويضحّون بكل شيء من أجل المسيح.

دعوتنا هي أن نعرف المسيح في الكنيسة بروحه القدوس، أن ندخل في شركة مع الله الآب عبر طاعتنا لابنه الوحيد وحفظنا لوصاياه. نحن مدعوّون أن نستقبل ملكوت السموات في واقع حياتنا بأن ننتمي إليه حين نتوب ونبدّل طريقة حياتنا فيكون لنا «فكر المسيح» (١كو٢:١٦) ونصير تلاميذه وأحبّاءه وشركاء ميراثه.

الوزنة الواحدة

عندما نقرأ المقطع الإنجيليّ الذي يتحدّث عن مَثَل الوزنات، نكون شكليًّا أمام نصٍّ تجاريّ يسلّم فيه صاحب العمل أجراءه شيئًا من نحنُ أحياءٌ. كأنَّا مؤدَّبون ولا نُقتَل* كأنَّا حزانٌ ونحن دائماً فرِحون. كأنَّا فقراءُ ونحن نُغني كثيرين. كأنَّا لا شيءَ لنا ونحن نملِكُ كلَّ شيءٍ.

الإنجيل

(متى ٢٥: ١٤–٣٠)

قال الربُّ هذا المَثل. إنسانٌ مسافرٌ دعا عبيدَهُ وسلَّمَ إليهم أموالَه* فأعطى واحداً خمسَ وزناتٍ وآخرَ وزنتَين وآخرَ وزْنةً كلٌّ واحدٍ على قدرِ طاقتِهِ وسافر للوقتِ* فذهب الذي أخذ الخمسَ الوزناتِ وتاجرَ بها وربحَ خمسَ وزناتٍ أُخَرَ* وهكذا الذي أخذ الوزنتين ربحَ وزنتين أُخريين* وأمَّا الذي أخذ الوزنة الواحدةَ فذهب وحفرَ في الأرضِ وطمرَ فضَّةَ سيِّده* وبعد زمانٍ كثيرٍ قدِمَ سيّدُ أولئك العبيدِ وحاسبهم* فدنا الذي أخذ الخمسَ الوزناتِ وأدّى خمسَ وزناتٍ أُخَرَ قائلاً يا سيّدُ خمسَ وزناتٍ سلَّمتَ إليَّ وها خمسُ وزناتٍ أُخَرَ ربحتُها فوقها* فقال له سيّدُه نِعِمّا أيُّها العبد الصالحُ الأمينُ. قد وُجدتَ أميناً في

القليلِ فسأُقيمُك على الكثير. أُدخل إلى فرح ربِّك* ودنا الذي أخذ الوزنتين وقال يا سيّدُ وزنتينِ سلَّمتَ إليَّ وها وزنتانِ أُخريان ربحتُهما فوقهما* فقال له سيّدُه نِعِمَّا أيها العبدُ الصالحُ الأمينُ. قد وُجدتَ أميناً في القليل فسأُقيمُك على الكثير. أدخل إلى فرح ربك* ودنا الذي أخذ الوزنة وقال يا سيّدُ علِمتُ أنَّك إنسانٌ قاسٍ تحصِدُ من حيث لم تزرع وتجمعُ من حيث لم تبذر* فخِفتُ وذهبتُ وطمرتُ وزنتَك في الأرض. فهوذا مالُكَ عندك. فأجاب سيّده وقال له أيُّها العبدُ الشريرُ الكسلانُ. قد علِمتَ أنّي أحصِدُ من حيث لم أزرع وأجمعُ من حيثُ لم أبذُرْ* فكان ينبغي أن تسلِّمَ فِضَّتي إلى الصيارفة حتى إذا قدِمتُ آخُذَ مالي مع رُبًى* فخُذوا منه الوزنةَ وأعطوها للذي معه العشْرُ الوزنات* (لأنَّ كلَّ مَن له يُعطى فيُزادُ ومَن ليس له فالذي له يؤخذ منه)* والعبدُ البطَّالُ ألقوهُ في الظلمة البرَّانيَّةِ. هناك يكونُ البكاءُ وصريفُ الأسنانِ* ولَّما قال هذا نادى مَن له أُذنان للسمع فليسمع.

أمواله لكي يتاجروا به ويضاعفوه في حين غيابه بداعي السفر، الأمر الذي يُظهر، عند عودته من السفر، أيَّ أجير كان أمينًا على أموال سيّده وحافظ عليها وتاجر بها كأنّها أمواله الخاصّة. فالوزنة كانت ذات قيمة كبيرة جدًّا، إذ كانت عملة يونانيّة توازي ما بين ٥٠٠٠ و٦٠٠٠ دينار (والدينار عملة رومانيّة فضيّة توازي أجرة يوم عمل، الأمر الذي يذكره القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم في عظته الفصحيّة قائلاً: «من تعب صائمًا فليأخذ الآن الدينار»). إذًا، بعمليّة حسابيّة بسيطة، نجد الوزنة الواحدة تعادل أجر حوالى ١٥ سنة للعامل الرومانيّ. أمّا روحيًّا فنكون أمام نصٍّ يتعدّى التّجارة الماليّة البشريّة إلى تجارةٍ روحيّة يمكن من خلالها ربح الملكوت السماويّ أو خسارته، على حسب ما نقول في صلواتنا: «يا لتجارتكم الصالحة أيها القديسون... بالحقيقة إن تجارتكم لحسنة جداً كونكم غادرتم الفاسدات فتسلّمتم الباقيات» (عشية الثلاثاء من أسبوع مرفع الجبن).

من الممكن أن يرى البعض أنّ الله غير عادل في هذا المثل، إذ إنّه لا يوزّع الوزنات بالتساوي على الجميع إنّما يعطي الواحد أقلّ من الآخر. إنّ ما نراه عدلاً ومساواة بالعين البشريّة ما هو إلاّ ظلم إذا ما نظرنا بالعين الإلهيّة. فالعدل والمساواة بشريًّا هما مثلاً أن يُطلب من إنسان مُقعد وآخر يستطيع أن يستخدم رجليه الاشتراك في تحدٍّ رياضيٍّ واحد، أمَّا إلهيًّا، فإنّ الربّ يعطي كلّ إنسان على حسب طاقته في الاحتمال.

في بعض الأحيان يحدث أن يحسد الذي لديه وزنة واحدة مَن لديه عشر وزنات، فيلتهي بشرّ حسده وبالتفكير في طرقٍ لإفشاله وينسى أنّ الربّ أمّنه على أمرٍ يجب المحافظة عليه وتثميره وتقديم تلك الأثمار فيما بعد لصاحب الأمانة، أي للربّ، على حسب ما نقول في القدّاس الإلهي: «التي لك ممّا لك نقدّمها لك».

الربّ لا يعطي أحدًا أمرًا لا يمكنه تحمّله أو تثميره، إلّا أنّ المؤكّد هو أنّ هناك وزنة واحدة مشتركة يهبها الله للجميع، وهي على الأرجح كانت نفسها الوزنة الواحدة التي دفنها «العبد الكسلان»، وتلك الوزنة هي المحبّة. لقد أعطى الله الجميعَ موهبة المحبّة، ثمّ زاد عليها مواهب أُخرى حسب قدرة كلّ شخص على التحمّل. صاحب الوزنة الواحدة دفنها، لم يعرف كيف يستخدمها، الأمر الذي يتجلّى في جوابه لسيّده عندما حان وقت كشف الحساب بأنّه يعرف كم أنّ سيّده ظالم وقاسٍ لذلك خاف وطمر الوزنة. هذا ما لم يفعله الأجيران الآخران اللّذان عرفا كيف يجعلان سيّدهما يحبّهما من خلال محبّتهما لما أوكلهما به. هكذا، بأمانتهما، أحسّ السيّد بأنّهما يحبّانه إذ أحبّا مقتنياته ولم يفرّطا بها بل تاجرا وربحا أضعافًا وقدّماها له فرحين، فلان قلبه (إذا أخذنا بكلام العبد الثالث أنّه ظالم وقاسٍ) وبادلهما المحبّة. خطأ العبد صاحب الوزنة الواحدة هو أنّه لم يثمّرها، لم يستعمل المحبّة، لم يضاعفها، لم يجعل سيّده يشعر بأنّه يحبّه حتّى يبادله الشعور نفسه. هذا ما يتجلّى بقول القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم عن أنّ المحبّة هي جمر نارٍ تضعه على رأس مَن تُحبّ فتُحرق به كلّ الشوائب والضغائن. هكذا إذا أحببتَ عدوّك وضعت على رأسه جمر المحبة الذي يذيب جليد العداوة ويجعل القلب يلين فتصبح المحبّة متبادلة. يقول القدّيس أنطونيوس الكبير: «أنا لا

أخاف الله لأنّي أحبّه». هذا يوضح أنّ العبد الكسلان لم يحبّ سيّده لأنّه كان خائفًا منه. من هنا كان امتحان السيّد للعبد بأنّه منحه وزنة واحدة لا غير، هي وزنة المحبّة، التي كان يعلم بأنّها تنقصه وأنّه سيخلص إذا عرف كيف ينميها. لكي لا يشغله بأمور تشتّته عن الوصول إلى الهدف المنشود لم يعطِه وزناتٍ أخرى، لكنّ الأمر الأكيد هو أنّ الكسلان، لو عرف كيف يحبّ، لكانت الوزنات تدفّقت عليه من كلّ الجهات، لأنّ المحبّ يستطيع أن يفعل كلّ شيء بفرح، ومن دون تذمّر أو تعب.

لذلك، دعونا نبدأ بتثمير تلك الوزنة الواحدة المشتركة التي زرعها الربّ في كلّ واحدٍ منّا. دعونا نتعلّم كيف نحبّ، ونضاعف هذه المحبّة لتصبح شاملةً الجميع، الأصدقاء والأعداء. هكذا نصبح على الطريق القويم، وتتدفّق علينا نِعَمُ الربّ، فندخل إلى الفرح الأبديّ.

الدينونة

+ تصوّر يومك الأخير، والقلق، وضيق النفس، وساعة الموت، والحُكم الإلهيّ الوشيك، والملائكة المُسرعين، والنفس المضطربة بشكلٍ مرعبٍ وسط كل ذلك، الملذوعة مُقدّماً بسوط ضمير خاطئ، والتي تلتفت بطريقةٍ تثير الشفقة نحو السفليات ونحو الضرورة المحتومة لذاك السفر الطويل. ارسم في فكرك صورة خاتمة الحياة الكونيّة، حين سيأتي ابن الله في مجده مع ملائكته، «لأنّه سيأتي ولن يبقى صامتاً» (مز ٤٩: ٣)، حين سيأتي ليدين الأحياء والأموات كلاً بحسب أعماله، وحين سيُسمع بوق الآخرة صوتاً قوياً مرعباً سيوقظ أولئك الراقدين منذ بدء الأجيال، وحين سيتقدّم الذين عملوا الخير لقيامة حياةٍ والذين اقترفوا الشرّ لقيامة دينونة (يو ٥: ٢٩). تذكّر رؤيا دانيال الإلهية، وكيف يضع الدينونة نصب عيوننا. يقول: «وبينما كنت أرى، نُصبت عروش، وجلس عتيق الأيام، وكان لباسه أبيض كالثلج، وشعر رأسه كالصوف النقيّ، وعرشه لهيب نار. وكان نهر نار يجري أمامه، وتخدمه ألوف ألوف، وتقف بين يديه ربوات ربوات، فجلس أهل القضاء وفُتحت الأسفار» (دا ٧: ٩–١٠). الخير والشر، الظاهر والمستور، الأفعال والأفكار، هذه الأسفار إنّما تكشف كلّ شيء معاً، بوضوح، بغية أن يسمعه الجميع، الملائكة والبشر. وعند ذلك الكشف، ترى، أيُّ موقفٍ بالضرورة سيكون لدى مَن عاشوا سيرةً سيئة؟ أين ستختبئ إذاً تلك النفس التي ستظهر بغتةً وهي مفعمةٌ خزياً على مرأى جميع المتفرّجين؟ وبأيّ جسدٍ ستحمل تلك الجلدات المرعبة والنحيب المر، وعويل الأوجاع الغريب، والبكاء وصرير الأسنان، وحيث لا نهاية للآلام؟ فلا يمكن الانعتاق من هذه بعد الموت، وليس ثمّة عكسٌ (للوضع) ولا حيلةٌ تبيح الإفلات من تلك العقوبات الفظيعة. أمّا تجنُّبها فممكنٌ الآن. وفيما ذلك ممكن، فلننهض إذاً من سقطتنا ولا نيأسنّ من أنفسنا، وما دمنا نعلم كيف نتحرّر من الأسوأ، سيّما وأنّ يسوع المسيح قد جاء إلى العالم ليخلّص الخطأة. (القديس باسيليوس الكبير).

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

تأمل

أَمَرَ ملك شرير عبده البارّ بأن يتمّم عملًا مخالفاً للناموس. ماذا سيفعل حينئذٍ الإنسان البارّ؟ لن يطيع الأمر بل سيحاول أيضاً أن يردّ الملك عن الشرّ الذي ينوي فعله، حتى ولو خاطر بفقدانِ حياته. مَن هو الحر إذاً؟ ذاك الذي لا يخاف حتى من الملك أو ذاك الذي يُحتقر من عبده؟ إنّ مَن تسود عليه الأهواء، وتسبيه الخطيئة، ومَن يفضّل الشرّ على الفضيلة، حتى ولو وضع تاجاً ملوكيًّا فهو عبد، عبد للشيطان وليس للإنسان.

هل تذكرون مَثَل الوزنات؟ عندما عاد السيد من رحلته كرّم العبدَين اللذين كانا قد ضاعفا وزناته ودان الثالث الذي خبّأ وزنته في الأرض واصفاً إيّاه بالسيئ والكسول بسبب إهماله وتهاونه.

فإذا أُدين الذي، على الأقل، لم يبدّد الوزنة بل حفظها وأعادها إلى سيّده، فماذا سينال ذاك الذي يستعمل المواهب التي منحه إياها الله في أمورٍ شريرة؟ إن أُلقيَ ذاك فيَ الظلمة، ماذا سيحصل لنا نحن الذين نعيش في الخطيئة، ونبعد عن الفضيلة مع أنّه لدينا كل الإمكانات لاقتنائها؟

القديس يوحنا الذهبي الفم